الفنون النثرية المعاصرة – القصة والقصة القصيرة جدا :

فمع أنّ فنّ القصة معروف منذ مدة طويلة سواء عندنا نحن العرب أو الغرب لكنّ النوع الأدبي الذي نطلق عليه اسم " القصة القصيرة جدا " لا يزال مجهولا عندنا نحن العرب أو إنّه – إن صحّ هذا التعبير -بدأ يمشي خطواته الأولى عندنا. ولهذا ارتأيت في هذه المحاضرة التعريف بهذا الفن النثري المعاصر وأهمّ خصائصه ومميزاته.

1 - الإرهاصات

تطور القصة القصيرة جدا وجذورها التاريخية:

إذا أردنا تتبّع تطور فن القصة القصيرة جدا، فسنجده إبداعا نثريا حديث العهد، ظهر بأمريكا اللاتينية منذ مطلع القرن العشرين لعوامل ذاتية وموضوعية. ولكنّ أوّل ظهور له كان مع الكاتب الأمريكي إرنست همينغواي سنة 1925م، وذلك حينما أطلق على إحدى قصصه مصطلح :" **القصة القصيرة جدا** " – **Very Short Story**، وكانت تلك القصة تتكوّن من ثماني كلمات فحسب:

" للبيع، حذاء لطفل، لم يلبس قط".

وكان هيمنغواي يفتخر بهذا النص الإبداعي القصير جدا، فكان يعتبره أعظم ما كتبه في حياته الإبداعية. بينما يُعد الكاتب الغواتيمالي أوجستو مونتيروسو (Augusto Monterroso) أول من كتب أقصر نصّ قصصي في العالم تحت عنوان:" الديناصور":

" حينما أفاق، كان الديناصور لا يزال هناك

Cuando despertó, el dinosaurio todavía estaba allí." .

وتتكوّن هذه القصة القصيرة جدا من سبع كلمات فقط.

ومن أهم كتابها: خوليو كورتاثار، وخوان خوصي أريولا، وإدواردو غاليانو، وخابيير تومبو، وخورخي لويس بورخيس، وإرنستو ساباتو، وخوسي دونوسو، وفيكتوريا أوكامبو، وأوغيستو مونتيروسو، وفلسبرتو هرناندیث ، وآخرون كثيرون...

وبعد ذلك، انتشرت هذه القصص القصيرة جدا بشكل من الأشكال بأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية والعالم العربي ، وذلك عن طريق الترجمة والمثاقفة وعمليات التأثير و التأثر ...

بينما ظهرت القصة القصيرة جدا في العالم العربي منذ منتصف القرن العشرين، وربما قبل ذلك مع قصص **جبران خليل جبران** كما هي موجودة في مجموعتيه **:" المجنون" و" التائه".**

ولقد تبلور هذا الجنس الأدبي الجديد - على حد علمي - في العراق و الشام، وبالضبط في سورية وفلسطين، وازدهر مؤخرا في دول المغرب العربي، وخاصة في المغرب.

ومن أهم الكتاب المغاربيين هذا الجنس نذكر من المغرب : حسن برطال وعبد الله المتقي، ومصطفى لغتيري ومحمد إبراهيم بوعلو، وخصوصا حسن البقالي

ومن تونس نذكر الكاتب الروائي والقصاص إبراهيم درغوثي الذي كتب مجموعة من النصوص القصصية القصيرة جدا، كقصصه :" حب مجانين" في موقع:" أدب فن... "

ومن الجزائر، نذكر عبد القادر برغوث الذي كتب مجموعة من النصوص القصصية القصيرة جدا في عدة مواقع رقمية، ولاسيما في موقع :"إيلاف " وسعيد بوطاجين في مجموعته القصصية القصيرة جدا الجديدة " جلالة عبد الجيب " الصادرة سنة 2017.

تعدد التسميات والمصطلحات:

أطلق الدارسون على هذا الجنس الأدبي الجديد عدة مصطلحات وتسميات لتطويق هذا المنتوج الأدبي تنظيرا وكتابة، والإحاطة بهذا المولود الجديد من كل جوانبه الفنية والدلالية والمقصدية. ومن بين هذه التسميات: القصة القصيرة جدا، ولوحات قصصية، وومضات قصصية، ومقطوعات قصيرة، وبورتريهات، وقصص، وقصص قصيرة، ومقاطع قصصية، ومشاهد قصصية، والأقصوصة، وفقرات قصصية، وملامح قصصية، وخواطر قصصية، وإيحاءات، والقصة القصيرة الخاطرة، و القصة القصيرة الشاعرية، والقصة القصيرة اللوحة، والقصة اللقطة، والكبسولة، والقصة البرقية، وحكايات، ولقطات قصصية، والقصة الومضة، وقصص مينيمالية، والتخييل المينيمالي، والتخييل القصير جدا، والقصص المختصرة أو المختزلة،...

وبحسب الناقد المغربي الدكتور جميل حمداوي فهو يميل إلى **مصطلح القصة القصيرة جدا** لاعتبارات منهجية وتنظيرية لأنّ هذا المصطلح يعبر عن المقصود بدقة

ووضوح، مادام يركز على ملمحين أساسين لهذا الفن الأدبي الجديد، وهما: قصر الحجم ،والنزعة القصصية. كما أنه يترجم المصطلح الإسباني المعروف المعبر عن هذا الجنس الجديد في مجال السرديات الأدبية .(Microrrelatos) ويعني هذا المصطلح الأجنبي المحكي القصير جدا، أو السرد القصير جدا، أو القصة القصيرة جدا.

تعتبر القصة القصيرة جداً نوعاً من الفنّ الأدبي الذي شاع في العصر الحديث بشكل واسع، واستطاع أن يتحول إلى فن سردي قائم بذاته، ويتميز بحجمه الصغير جداً، والذي لا يتعدى البضعة أسطر التي تحتوي على الحدث والأفكار بشكل مكثف ومختزل، كما يتميز هذا الفن الأدبي بالتصوير البلاغي الذي يطغى على السرد المباشر.

تعريــف القصة القصيرة جدا:

القصة القصيرة جدا جنس أدبي حديث يمتاز بقصر الحجم، والإيحاء المكثف، والانتقاء الدقيق، علاوة على النزعة القصصية الموجزة.

كما تقوم القصة القصيرة جداً على حركتين رئيستين، هما الحركة الداخليّة التي تؤسس العلاقات النفسيّة والانفعاليّة، والحركة الخارجيّة التي تكوّن تقنيات القصة القصيرة جداً.

عناصر القصة القصيرة جداً

- **المفارقة**

القصة القصيرة جدا من حيث هي مادة لغوية، لا تطابق الواقع المادي ولا تحاكيه، بل تفارقه؛ وحركة المفارقة هي حركة نمو وتطور لا توازي الواقع فتحلق فوقه كالظل يواكب صاحبه؛ بل تنمو وتنهض على حد صراعي هو حد التناقضات.
ولا يتحقق البناء السردي في تجربة القصة القصيرة جدا إلا عبر كوة المفارقة؛ وقبل الخوض في الموضوع لابد من تعريف مفهوم المفارقة **"L'ironie"** ؛فهي اسم مفعول من "فارق" ويقال : فارق الشيء مفارقة وافتراقا أي باينه؛ وفارق الرجل امرأته مفارقة وفراقا: بَاينها وافترق عنها. والفرقان بمعنى القرآن وهو كل ما فرق بين الحق والباطل.

إنّ المفارقة تعني جريان أحداث بشكل عفوي على حساب أحداث أخرى هي المقصودة والرئيسة، والمفارقة من العناصر الأساسية للقصة، والتي يلجأ إليها الكاتب لإظهار نقيض ما يعنيه، فيظهر المديح بما يشابه الذم، ويظهر الذم بما يشابه المديح. تعتبر المفارقة في القصة القصيرة جداً تقنية قصصيّة تستخدم للابتعاد عن السرد، وهي تبعث الإثارة والحماس في نفس القارئ، وعادة ما تنتج من ثنائيّة تحمل بعدين متقابلين أو متضادين مثل الرفض والموافقة، والواقعية وغير الواقعية.

- **الخاتمة**

تمثل الخاتمة الأهداف أو الغاية التي سعى الكاتب إلى إيصالها للقارئ خلال صياغته القصة، وهناك اختلاف واضح بين خاتمة القصة القصيرة التي يمكن أن تكون مقفولة، أو مفتوحة، أو رمزيّة، أو واضحة، وخاتمة القصة القصيرة جداً التي تكون وليدة السرد، كما أنّها لا تبرز من مضمون القصة الذي يفرض خاتمة معينة، وإنّما تعتبر العنصر الأقوى والأهم بين عناصر القصة القصيرة جداً، فهي تعدّ نقلة سريعة من داخل النص المحفز إلى خارجه المدهش والمستفز.

- **مقياس الترميز:**

من المعلوم أن القصة القصيرة جدا تشترك مع باقي الأجناس الأدبية في خاصية الترميز، وتحول لغة القصة ومعاجمها السردية إلى دوال رمزية، وأقنعة سيميائية، وإحالات دالة، ومؤشرات نصية مفتوحة.

- **مقياس الفانطاستيك:**

يعد الفانطاستيك من أهم سمات القصة القصيرة جدا، ومن أهم شروطها الخارجية . والآتي، أنه ينبني على العجيب والغريب على حد سواء. وقد يثير الفانطاستيك الخوف والاستغراب أو الإعجاب والاندهاش.

- **مقياس الإيحاء:**

تتسم مجموعة من القصص القصيرة جدا بخاصية الشاعرية، وبلاغة الإيحاء، ولغة المجاز والتغريب. وترد القصص في شكل قصائد نثرية، سماها البعض **" أقصودة "**؛ لأنها تجمع بين المحكي السردي والخطاب الشعري المتوهج.

لا بدّ للقصة القصيرة جداً أن تروي حكاية ما، وأن تدخل إلى الحدث مباشرة.

يقول مصطفى لغتيري في قصته القصيرة جدا **" تسونامي"** :

"هنالك في ذيل القارة السوداء، جاء الغرباء فجأة، وطفقوا - بلا هوادة - يدهنون الذيل بطلاء أبيض، فاقع لونه..

من مكانها على مقربة من رأس الرجاء الصالح، رأت موجة سوداء ما حدث، فثارت غاضبة ..انطلقت من عقالها..اكتسحت الذيل، فجرفت ذلك الطلاء الأبيض."

تشرع القصة من داخل الفعل، فالغرباء جاؤوا فجأة، ولا تقدم لنا القصة كيف جاؤوا ولماذا، ولا يذكر الكاتب زمن الكتابة، ولم يكن هناك شرح وتوضيح لصفات الشخصيات غير أنهم غرباء عن الأرض التي قدموا إليها. الزمن هنا مفهوم وهو زمن الاستعمار الذي نهب وقتل وشرد، ويريد أن يستولى على مقدرات وثروات أفريقيا السوداء، تتضمن القصة الصراع القاسي الذي خاضته أفريقيا للتحرر من نير الاحتلال والعبودية، والمقاومة البطولية لشعوبها. هنا لا يوجد مكان للوصف المستفيض، فكل كلمة في القصة هي ركن أساسي لا يمكن الاستغناء عنه. هي قصة تصل إلى ما تريد في أقل الكلمات.

كما أنّ الحكائية موجودة في القصة، فهي تروي عن غرباء أتوا ليستولوا على أراض ليس لهم فيها حق، واستعباد الشعوب البسيطة والفقيرة، وتنتسب إلى فنون الحكي، فأي قصة تخرج من نطاق القصة القصيرة جداً إذا خلت من القص.

ويمكننا اعتبار غياب الحكائية عن الكثير من النصوص القصصية يكون سبباً في إخفاقها.

وحتى يمكننا استيعاب هذه الخصائص للقصة القصيرة جدا نُنهي هذه المحاضرة بنماذج ومختارات من روائع القصة القصيرة جدا.

مختارات من القصة القصيرة جدا :

الانتحاري - إنريكي أَندرسون إمبرت (الأرجنتين)

بالقرب من الكتاب المقدّس المفتوح، حيث سطّر باللون الأحمر في صفحة الفقرة التي تشرح كل شيء، وضع الرسائل : لزوجته وللقاضي وللأصدقاء. بعدها شرب السمّ ونام.

لم يحدث شيء. بعد ساعة، استفاق ونظر إلى القارورة. نعم، كانت قارورة سمّ فعلا.

كان متأكّدا تمام التأكّد! عاد لملء الجرعة وشرب كأسا آخر. نام من جديد. بعد ساعة لم يمت أيضا. ساعتها حمل مسدّسه وأطلق الرصاص على رأسه. ما هذه الدعابة السخيفة؟ أحدهم كان قد غيّر قارورة السم بالماء، وغيّر الرصاص الحقيقي برصاص الصوت، لكن من يكون ومتى قام بذلك؟

أطلق صوب رأسه الرصاصات الأربعة المتبقية لكن من دون جدوى. أغلق الكتاب المقدّس، حمل الرسائل وخرج من الغرفة. ساعتها، كان صاحب النزل والخدم والفضوليون يتّجهون نحوه، والفزع يغمرهم من هول دويّ الطلقات الخمس.

عند وصوله إلى بيته وجد زوجته مقتولة بالسم ووجد أيضا أطفاله الخمسة مطروحين أرضا، تخترق رصاصة رأس كلّ واحد منهم.

حمل سكّين المطبخ، رفع ملابسه فبقيت بطنه عارية، وبدأ بطعنها في محاولة لشقّها. كانت شفرة السكين تنغرز في اللحم اللين وبعدها تخرج نظيفة كالماء. كان اللحم يعود كما كان، كالماء بعد أن تخرج منه سمكة.

سكب على ملابسه بنزينا وكانت أعواد الثقاب تنطفئ وهي ترتعش من البرد.

ركض صوب الشرفة، وقبل أن يرمي بنفسه على الأرض، استطاع أن يرى في الشارع حشد الرجال والنساء وهم ينزفون دما من بطونهم المشقوقة بفعل الطعنات، وسط ألسنة لهب في المدينة التي تحترق عن بكرة أبيها.

الشهـرة - إنريكي أَندرسون إمبرت (الأرجنتين)

رآها الشاعر تمرّ بسرعة، وبسرعة جرى وراءها، واشتكى :

- لا شيء لي أنا ؟ لقد ميَّزتِ شعراء كثيرين أقلّ مني، وأنا متى يأتي دوري؟

ودون أن تتوقف، نظرت الشهرة إلى الشاعر بازدراء، وأجابته ضاحكة، ومسرعة الخطو:

- في غضون عامين بالضبط، وعلى الساعة الخامسة زوالا بمكتبة كلية الفلسفة والآداب، سيفتح صحافي شاب أول كتاب نشرته، وسيأخذ منه معلومات لإنجاز دراسة تبجيلية. أعدك أنّني سوف أكون هناك.

- آه... سأشكرك كثيرا على ذلك.

- اشكرني الآن، فبعد عامين لن تكون هنا.

الديناصور - أوغستو مونتيروسو (غواتيمالا)

حينما استيقظ، كان الديناصور لا يزال هناك.

قصة خرافية - أليخاندرو خودوروسكي (تشيلي)

قالت ضفدعة، تحمل تاجا على رأسها، لسيّد: « قبّلني، من فضلك ». فكّر السيّد :

« هذا الحيوان مسحور. من الممكن أن يتحول إلى أميرة جميلة، وريثة عرش ما. فنتزوج وأصبح ثريا ». قبّل الضفدعة فوجد نفسه وقد تحوّل على الفور إلى ضفدع لزج. صرخت الضفدعة بسعادة: « يا حبّي، منذ مدة طويلة وأنت مسحور، لكنّني تمكّنتُ من إنقاذك أخيرا! ».

رحلة النملة العظيمة - رافاييل موندون (الأورغواي)

" آه...لقد عرفتُ العالم "، قالت النملة لنفسها، عند نهاية رحلتها حول عِرق، في ورقة شجر، في غصن، في شجرة زيتون، في غابة، في بلد مليء بالأشجار. قالت النملة ذلك وعادت إلى منزلها، والسلام يعمُّ روحها، كي لا تخرج ثانيةً أبداً.

مراجع للاستزادة :

- مختارات من القصة الإسبانو-لاتينية القصيرة جدا : أ.د. شريف بموسى عبد القادر – دار أجنحة للنشر – قسنطينة / الجزائر – 2017.